

حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٩ ( عدد إبريل - يونيو ٢٠٢١ )

<http://www.aafu.journals.ekb.eg>

(دورية علمية محكمة)



كلية الآداب

جامعة عين شمس

## فن العمارة في العصر البيزنطي في سوريا

زين موسي غنيم القرعان\*

\* دكتوراه العلوم الاجتماعية - جامعة مؤتة

[quranzein@yahoo.com](mailto:quranzein@yahoo.com)

### المستخلص

تهدف هذه الدراسة الى: تقديم صورة متكاملة عن المعالم والملاحم المميزة في العمارة في سوريا، مع توضيح العوامل المؤثرة في تكوين العمارة البيزنطية وعرض امثلة عن فن العمارة البيزنطية في سوريا مع توضيح مفصل لطرق البناء المستخدمة في بنائها.

استخدمت هذه الدراسة منهج تحليل وتوثيق بعض الدراسات التاريخية والاثريّة للعصر البيزنطي، التي تتعلق بسوريا، كما انتهجت الدراسة تحليل المعلومات الواردة عن طريق المراجع التاريخية والابحاث الاثريّة.

توصلت الدراسة الى عدة نتائج من اهمها: ان العمارة البيزنطية تمثل احدى المراحل التاريخية الهامة في مسيرة الحضارة المعمارية في سوريا وساعدها في ذلك العديد من العوامل من ابرزها موقعها الجغرافي.

واوصت الدراسة بعدة توصيات من ابرزها: ضرورة العمل على التوسع في القيام بالابحاث التي تتناول فن العمارة في العصور البيزنطية وتقديم التسهيلات المناسبة للباحثين للقيام بتلك الابحاث وذلك نظراً لقلّة الدراسات العربيّة التي تناولت هذا الموضوع بشكل مفصل و دقيق.

**الكلمات المفتاحية:** سوريا، العصر البيزنطي، فن العمارة، دراسات

تاريخية.

**المقدمة:**

الحضارة البيزنطية من الحضارات التي ادت دورا مهما في تاريخ بلاد الشام، وهي إمتداد للحضارة الرومانية، حيث اتسمت الحضارة البيزنطية بالسماة الشرقية مما جعلها مزيج من الرومانية و العربية فهي تعد من اهم الحضارات التي نشأت في بلاد الشام و التي لاتزال الشواهد التاريخية تعرفنا بها، ونتيجة للظروف الجغرافية والسياسية والاقتصادية انتقل الرومان بحضارتهم و أنظمتهم و علومهم الى المشرق بهدف التوسع الى أن انهارت الحضارة الرومانية و أستمرت الحضارة البيزنطية بالتوسع في المشرق العربي حيث ضمت بلاد الشام التي كانت تعتبر الحاجز الأول بين البيزنطيين و القبائل العربية الى أن جاء الاسلام و بدأت الفتوحات الاسلامية(جديع، ٢٠١٨: ٣).

وتسمى سوريا جغرافية في اللغة العربية (بلاد الشام ) (غانم، ٢٠٢٠: ٤)، وقد عاشت سوريا خلال العصور الكلاسيكية الثقافة اليونانية والرومانية في اللغة، السياسة، الادب والاقتصاد . و تبدأ العصور الكلاسيكية في منطقة المشرق العربي بدخول جيش الاسكندر المقدوني الى سوريا في القرن الرابع قبل الميلاد بعد انتصاره علي الفرس في معركة ايسوس شمال غرب سوريا قرب مدينة الاسكندرون، وتنتهي العصور الكلاسيكية مع الدخول الاسلامي الى سوريا في بداية القرن السابع الميلادي بعد الحدث التاريخي المفصلي في معركة اليرموك . استمرت هذه العصور في سوريا قرابة الالف عام (سارتر، ٢٠٠٥: ١٠). و يعرف العصران الاولان منها، اي اليوناني والروماني بالعصر الكلاسيكي، الذي يمتد من القرن الرابع قبل الميلاد الي القرن الرابع الميلادي، ليبدأ بعدها في سوريا العصر البيزنطي الذي يعرف تاريخيا بالعصر ما بعد الكلاسيكي، سوريا لم تبق تحت السيطرة البيزنطية الا ثلاثة قرون، اي من منتصف القرن الرابع الميلادي الي بداية القرن السابع الميلادي، حيث انتهت الحقبة البيزنطية مع دخول العرب المسلمين الى سوريا بعد انتصار الجيش الاسلامي على البيزنطيين في جنوب سوريا (فرح، ١٩٩٩: ١١٨).

يركز هذا البحث على "العمارة في العصر البيزنطي في سوريا، حيث تمثل العمارة البيزنطية إحدى المراحل أو الفواصل التاريخية الهامة في مسيرة الحضارة المعمارية العالمية، وقد افرنت بولادة المسيحية (فجر المسيحية) في أوروبا،و يعتبر الإمبراطور قسطنطين مؤسس الأبراطورية البيزنطية، الذي جعل من القسطنطينية (بيزنطة سابقاً) عاصمتها عام ٣٣٥ م .

وكانت الإمبراطورية البيزنطية تضم هضبة الأناضول بآسيا وأجزاء من اليونان وجزر بحر إيجه وأرمينية وآسيا الصغرى والشام ومصر وفلسطين وليبيا وتونس والجزائر وأجزاء من شمال بلاد النوبة. وكانت هذه الإمبراطورية تأخذ طابعا إغريقيا في الثقافة والعلوم حيث حافظت علي التراث الإغريقي والروماني، كما تأثرت بحضارات وفنون الشام ومصر وبلاد الإغريق وما بين النهرين(مقالة منشورة في منتدى المهنس، ٢٠١٢: ١).

**اهمية البحث:**

يعتبر فن العمارة البيزنطي فنا ساحرا بغناه و جرائته، ولعل مدنا كثيرة تعتبر خير ما يشهد على عظمة فن العمارة البيزنطية، وخصائصها الجمالية والفنية.

تكمن أهمية البحث في انه يقدم صورة واضحة لفن العمارة في العصر البيزنطي في سوريا، و يبرز البحث أهمية العصر البيزنطي في تحقيق اضافات ناجحه في مجال العمارة في سوريا، كما يبرز هذا البحث أهمية العمارة الكنسية السورية في هذا العصر والتي تميزت بمواصفات مختلفة تجمع بين الكلاسيكية والمحلية تولد عنها فنا معماريا بمستوى عالمي كان و لا زال ميدانا للبحث في دراسة فن العمارة و اثاره في العصر البيزنطي .

### اهداف البحث :

يهدف هذا البحث الى :

- ١- تقديم صورة متكاملة بشكل عام عن المعالم و الملامح المميزة في العمارة البيزنطية
- ٢- تقديم صورة متكاملة بشكل خاص عن المعالم و الملامح المميزة في العمارة البيزنطية في سوريا
- ٣- توضيح العوامل المؤثرة في تكوين العمارة البيزنطية
- ٤- عرض امثلة على فن العمارة البيزنطية في سوريا مع توضيح الاهمية التاريخية لكل منها .

### منهجية البحث :

يستخدم البحث منهج تحليل و توثيق بعض الدراسات التاريخية و الاثرية للعصور البيزنطية التي تتعلق بسوريا، كون سوريا كانت جزءا من هذه العصور، كما ينتهج البحث تحليل المعلومات الواردة عن طريق المصادر و المراجع التاريخية، الابحاث الاثرية، التي تم اجراؤها في سوريا .

### اولا : العوامل المؤثرة في تكوين العمارة البيزنطية :

تعتبر العمارة البيزنطية امتدادا للعمارة الرومانية ليس فقط في بناء المباني و تخطيط المدن، بل ايضا في مجال استخدام مواد البناء المختلفة و تقنية البناء، لأن البنائين و المعمارين الذين عملوا في ايام الوثنية الرومانية هم نفسهم الذين عملوا في ظل المسيحية الرومانية البيزنطية، حيث استخدموا نفس التقنيات التي استخدموها في بناء المباني ذات الطابع المسيحي. لعمارة البيزنطية هي عبارة عن الفن المعماري في عصر فجر المسيحية في القسطنطينية وفي الإمبراطورية الشرقية ككل بعد تحول العاصمة الرومانية إلى القسطنطينية عام ٣٢٤م (Abua, 1999:199)

هذا وقد ساعد موقع القسطنطينية الجغرافي بين الشرق والغرب، في أن تصبح مركزاً تجارياً مهماً، وفي ازدهار طراز فني مميز بسبب امتزاج عناصر مختلفة من رومة ومن العالم الهليني بعناصر شرقية محلية، و قد ازداد نفوذ بيزنطة السياسي والديني مع انتقال قسطنطين إلى العاصمة الجديدة، واصبحت القسطنطينية المركز الرئيسي للحضارة والفن البيزنطيين في الفترة من القرن السادس الميلادي حتى سقوطها في أيدي الأتراك عام ١٤٥٣ (دحدوح، ٢٠١٩ : ٢) .

اتحدت الفنون البيزنطية في أصولها لتكوين عمارة متميزة لمبان دينية وفنوناً تشكيلية لدين واحد، ولكنها اختلفت بشكل جوهري فيما يتعلق بالروح المعمارية والمنظر العام للزخرفة والتصوير. و لعل من أهم الأسباب التي سببت هذا التباين، التنوع الجغرافي والقومي، واختلاف مواد البناء المحلية، والحالة السياسية والعلمية والاجتماعية في البلاد المختلفة، فمصر، على سبيل المثال، أسهمت في الحضارة البيزنطية بفنّها القبطي الذي يعد بحق أول الفنون المسيحية، كما أسهمت سورية لا في تشكيل المسيحية

الأولى وأفكارها اللاهوتية فحسب، بل بنقلها فنونها إلى بيزنطة أيضاً، فعاشت «تدمر» نهضتها الفنية موصولة على الرغم من احتلال الرومان لها، وكذلك كانت الصور الجدارية في دورا أوروبوس على نهر الفرات نماذج تعبر عن إبداع المنطقة التي أغنت الأيقونوغرافية البيزنطية الجديدة. ويرى بعضهم إلى أن العقد والقبة والقبة - التي ميزت الفن الروماني بوجود يقاعاً دائرياً تجاهلته عمارة اليونان ذات الزوايا - تعود جميعاً إلى فارس التي نقلتها هي الأخرى عن الآشوريين. إضافة إلى ذلك لا ننسى اليونان وبلغارية وروسية، وغيرها من الدول، بالفنون البيزنطية، وإسهامات تلك الدول في العمارة والأيقونة والفسيفساء والمخطوطات. (دحدوح، ٢٠١٩: ٢) .

ومن اهم العوامل التي اثرت على فن العمارة في العصر البيزنطي :

### العوامل الجغرافية

تقع بيزنطة فوق عدة هضاب وكانت تربط بين طريقين رئيسيين للتجارة : "الطريق المائي وهو طريق البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط" و "الطريق التجاري الواصل بين أوروبا وآسيا" وهذا ما اعطاها القدرة على التحكم في التجارة، لذلك استطاع الفن البيزنطي ان يغزو الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ونقله التجار إلى دول مختلفة منها اليونان وسوريا وآسيا الصغرى وروسيا ، وكان لهذا الفن البيزنطي تأثير كبير على العمارة في هذه الدول . (Abua, 1999:199) .

### العوامل الجيولوجية

لم يكن الحجر موجوداً في هذه المنطقة مثل الطمي الذي كان يستخدم في عمل الطوب أو الأسمنت في الخرسانة، لذلك لابد من استيراد المواد المهمة لإقامة المباني التذكارية بشكل محدد، فكانوا يقومون باستيراد الرخام مثلاً من منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقية بالنسبة إلى القسطنطينية، من هنا نجد أن العمارة البيزنطية تأثرت بتلك الأحجار الضخمة التي كانت تبنى بها المباني التذكارية والتي كانت تستورد خرج من تلك البلدان. (zanini,2009:274)

### العوامل المناخية

تم اخذ عوامل بلادهم الجوية بعين الاعتبار، حيث الجو الحار نسبياً القليل الأمطار، وقد ظهر تأثير تلك العوامل على مبانيهم وفي فنونهم، حيث ابتكروا طرقاً معمارية خاصة تأثرت بها مبانيهم، مثل الأسطح المستوية مشتركة معاً مع القباب ذات الطابق الشرقي الأصيل، والفتحات الصغيرة الضيقة للشبابيك المرتفعة، و الحوائط غير المنكسرة، والعقود المتكررة التي تحيط بالأفنية الداخلية، كل هذه العوامل كونت المعالم المعمارية لهذا الطراز البيزنطي.. (Ostrogrksky,, 1993:527) .

### العوامل الدينية

كان الدين المسيحي هو الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية عام ٣٢٣م. وعلى ذلك كان الطراز البيزنطي في العمارة هو التعبير الرسمي للأبنية العامة والكنائس والأديرة ، ولكن حينما وقع الخلاف بين المسؤولين في الكنيسة، و ظهر الانقسام السياسي بين الشرق والغرب في الإمبراطورية الرومانية. وكانت الكنيسة الغربية ترى أن "الروح تنتقم وتتبع من الأب والابن" بينما الكنيسة في الشرق ترى "أن الروح تتقدم وتتسير مع الأب فقط" (هذا تبعا لعقائد المسيحية الموجودة) وكانت نتيجة هذه الخلافات المذهبية أن غادر بعض الفنانين والمهندسين، ورحلوا إلى إيطاليا لمزاولة أعمالهم وفنهم المتحرر،

ولهذا السبب نجد أن العمارة البيزنطية في مدن الشرق كانت خالية من التماثيل و اللوحات الزيتية المعبرة على عكس الطراز البيزنطي في مدن الغرب الذي وجدت فيه هذه العناصر المعبرة من تماثيل ولوحات زيتية ذات الألوان الزاهية .  
(zanini,2009:274)

### العوامل الاجتماعية والتاريخية

تعد بيزنطية من النواحي الاجتماعية هي مقر الحكم السياسي والديني والعسكري عام ٢٣٤م، بسبب موقعها الاستراتيجي والمتوسط بالنسبة للإمبراطورية الرومانية، ولكن نظرا لأن أهل هذه المدينة في تلك الفترة كانوا معروفين بقلّة الذكاء، والكسل والشراسة، فكان لهذا التغيير، وهو انتقال العاصمة إلى القسطنطينية، أثرا كبيرا في تدهور الإمبراطورية الرومانية. وقد كانت بيزنطية مدينة إغريقية قديمة، والمباني الحكومية التي أنشئت آنذاك بناها حرفيين تأثروا بالتقاليد الرومانية. ولذلك نجد أن القسطنطينية أنشئت على أسس رومانية كما سمحت المناطق الجبلية بذلك. فأنشئت الفورم forum حول الشارع الرئيسي، وأنشئت كنيسة آيا صوفيا والقصر الامبراطوري ومجلس العلوم ودار القضاء وساحة العرض الكبرى والاحتفالات العامة والاستعراضات، حيث كانت الساحة تخصص أيضا لمحاكمة وإعدام المجرمين. كما أهتم الرومان اهتمام بالغاً بمجاري المياه والحمامات ووسائل تخزين المياه، إما تحت سطح الأرض في مخازن خاصة أو في خزانات مرفوعة على عمد. وبمرور الأيام إتسعت المدينة وزاد عدد السكان، وانشئ الحائط العظيم ببوابته وأبراجه المشهورة الذي بناه تيودور الثاني عام ٤١٣م لحماية المدينة. ولكن خلف قسطنطين "الرجل القوي" أباطرة ضعفاء وانقسمت الإمبراطورية إلى عدة أقسام، بعد ذلك حكم جستنيان البلاد للفترة ٥٢٧-٥٦٥م، وراعى الفن والعمارة، والذي استمر في عهده بإنشاء الكنائس ومنها كنيسة آيا صوفيا وكنائس أخرى مختلفة في المدينة وفي سوريا وفلسطين. وبعد ذلك دب الفساد في البلاد وانتهى الحكم الروماني حينما سقطت المدينة في يد الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م على يد السلطان محمد الفاتح.(Abua, 1999:198)

### ثانيا : من أهم معالم العمارة البيزنطية:

يُعتبر الطراز البيزنطي فن من الفنون المعمارية في عصر فجر المسيحية، انتشرت بشكل واسع في القسطنطينية والإمبراطورية الشرقية، وتتشابه معالم العمارة البيزنطية بمعالم الفن الروماني في فجر المسيحية، ومن أهم هذه المعالم ما يلي: الفتحات (الجعباني، ٢٠٢٠: ٢):

- في ما يتعلق بالفتحات كانت تستخدم البواكي ذات العقود النصف دائرية للكنائس، وخصوصاً لحمل الشرفات الموجودة في المنسوب العلوي، بالإضافة إلى استعمال العقود المستقيمة أو استعمال العقود التي على شكل حدوة فرس.
- ويقول بروفسر كريويل أن العقد المدبب (Pointed Arch) أول ما استعمل في أيام حكم الملك جستنيان في سوريا في قصر ابن وردان.
- وجعلت النوافذ صغيرة لتناسب مع حالة الجو المشمس الحار، مكونة في الغالب بأكثر من صف واحد وواقعة تحت الأقبية المستمرة، ساهم صغر حجم الفتحات على وجود مسطحات كبيرة مناسبة من الحوائط الداخلية، ذلك لرسم العدد المناسب من الصور والرسومات بالموزايك الملون، التي كانت تضيف على المبنى من الداخل رونقاً وجمالاً.

**الاسقف:**

- في بداية العمارة المسيحية في القرن الرابع الميلادي كانوا يستخدمون الأسقف الخشبية مثل الجمالون الخشبي ذو القائم الواحد أو القائمين بوصفه أبسط أنواع الأسقف، أما سقف جوانب الكنيسة فكان يبنى بطريقة القبو والقبّة . وبعد ذلك سادت القباب كأسلوب مميز لتغطية فراغات الكنيسة). الجعباني، ٢٠٢٠: ٣).
- وقد شكل تطوير البيزنطيين للقباب دفعا كبيرا للعمارة وإعطائها طابعا مميزا، وقد مكنهم ذلك من تغطية فراغات بمساحات كبيرة دون الحاجة إلى نقاط ارتكاز، كما ساعد استعمال القباب في التسقيف على تطوير الشكل الداخلي للمبنى (Harak,1992: 6).

- و نستطيع القول ان من أهم ما تميزت به العمارة البيزنطية استخدام القباب، وأنصافها، والأقبية الطويلة والمتقاطعة، كما ظهر استخدام المثلثات الكروية تبعا للتوسع في استخدام القباب وأنصاف القباب، ويرجع الفضل إلى العرب في ابتكارها، حيث أنهم استعملوها للانتقال من المساحات المربعة إلى مناطق مستديرة تركز عليها الحافات السفلى للقبّة). الجعباني، ٢٠٢٠: ٢)

ونماذج القباب البيزنطية كانت على ثلاث نماذج (Tate, 1989:15):

- ١- القبّة البسيطة: وتبنى بشكل يكون فيه قوس انحناءها على استمرار قوس انحناء الزوايا المثلثية الكروية وبذلك تكون القبّة والزوايا بشكل كروي واحد.
- ٢- القبّة المركزية: وتبنى بحيث لا يكون قوس انحنائها على استمرار قوس انحناء الزوايا المثلثية الكروية.
- ٣- القبّة المرتكزة على طبلّة: وهي تبنى على طبلّة دائرية تركز على الزوايا المثلثية الكروية وتساعد الطبلّة على إمكانية فتح نوافذ صغيرة تساعد على الإنارة حول وأسفل بداية انحناء القبّة.

**المساقط الأفقية للكنائس البيزنطية. (Harak,1992: 8) :**

- لم تأخذ الكنائس طابعا خاصا أو شكلا محددًا ذو خصائص معمارية إلا بعد مدة طويلة من انتشار المسيحية، فقد استخدمت في البداية المساكن كأماكن للعبادة، ولكن بعد ما اعتنق "قسطنطين" الديانة المسيحية ظهرت الحاجة إلى بناء الكنيسة للتعبير عن دين الدولة الجديد، واتخذت في البداية طابع البازيليكا التي كانت تستخدم كأسواق، وعملت بها التغييرات اللازمة لتناسب العبادة الجديد.
- جاءت على أشكال عدة منها مستطيلة الشكل، أو مثمثة أو صليبية، وعادة ما تتوسطها الساحة المركزية التي تعلوها القبّة الرئيسية وشكل هذه الساحة يتناسب مع شكل المسقط الأفقي فظهرت على شكل مربع أو بيضاوي أو مثنى، أو كثير الأضلاع. كما تحيط بالساحة المركزية أروقة وأبهاء تكون مسقوفة بقباب أو أقبية مستمرة.
- و ظهر التخطيط الصليبي الشكل للكنائس الذي يتكون من مستطيلين متقاطعين متساويين في العرض دائما، وفي الطول في أكثر الأحيان، وينتج من تقاطعهما مربع أوسط، يغطي قبّة، وغالبا ترتفع قبة فوق كل ذراع فيصبح عدد القباب خمس.

**الزخارف والحليات (Abua, 1999:200):**

- تميزت هذه العمارة بالزخارف الداخلية، والتي زادت من فخامة الكنائس إذ كانت الحوائط جميعها مغطاة بفسيفساء من قطع الرخام الملون، كما كانت العقود والأقبية والقباب مغطاة بالفسيفساء المزجج اللامع.
- كما اتجه الفنانون نحو إخضاع الزخارف النباتية لتوزيعات هندسية، كما أدخلت عناصر الكائنات الحية مثل الحمام والطاووس والسمك بين عناصر الزخارف و استعمل البيزنطيون المتقارب ( Drill) ليشكلوا فيها حلياتهم وزخارفهم، وكان هذا واضحاً في تشكيل أقسام ورقة نبات شوك الجمل، حيث نلاحظ أن التشكيل ناتج عن تقوب دائرية بالرخام، كما استخدم البيزنطيون أنواع الفسيفساء (الموازيبك) الرخامية لتبليط الأرضيات، حيث كانت قطع الرخام المستعملة عند البيزنطيين أكبر من عند الرومان.
- جعل البيزنطيون أطراف العقود مستديرة وذلك عندما تتقابل مع المعلقات أو مع أسطح الحوائط، حيث يمكن جعل زخارف الفسيفساء مستمرة على جميع الأسطح، واستعملت الحليات لدرجة بسيطة في الداخل لتحديد مستوى الشرفات أو لتكون إطارات للألواح الرخامية، كما كانت الحليات في الحالة الأخيرة مكوناً غالباً من صفيين من قطع الرخام بطريقة تشبه النوايات، وتأتي نوايات الصف الأسفل تحت الفراغ الموجود بين نوايات الصف الأعلى (الجعباني، ٢٠٢٠:٣).

**الحوائط:**

اتبع في العمارة البيزنطية نفس أسلوب البناء الروماني، ففي الحوائط استعملت صفوف حجرية مع صفوف من الطوب الأحمر بإيقاع منتظم فقلل بذلك من الملل وعنف المادة. (Tate, 1989:15):

**الأعمدة**

- لم تكن الأعمدة البيزنطية إلا تطوير لأعمدة عرفت في العمارة المصرية والإغريقية والرومانية فقد استخدموا الأعمدة من قطعة واحدة من الرخام، وكانت التيجان من الرخام الأبيض، وانحصرت طرزها في الأيوني والكورنثي والمركب، غير أنها عدلت بحيث أصبح المسقط الجانبي للتيجان منحنياً، وكانت زخارفها محززة وليست محفورة كتيجان الأعمدة الرومانية، وفوق التيجان توجد مخدات (zanini,2009:289)
- كان كل عمود من الأعمدة يتكوّن بالغالاب من قطعة واحدة من الرخام المختلف في الألوان، لكن تيجان هذه الأعمدة كانت من الرخام الأبيض وكانت غنية بالحليات المنحوتة، أما تفاصيل هذه التيجان فكانت على نهج تيجان الأعمدة الرومانية من أيونية وكورنثية ومركبة، لكنها عدلت حيث أصبح المسقط الجانبي لهذه التيجان محدباً، وكانت حلياتها محززة جزأً، بدلاً من أن تكون محفورة حفرأ عميقاً. (الجعباني، ٢٠٢٠:٤)
- وكان يتخلل العمارة الداخلية للكنيسة أعمدة كثيرة لحمل أو المساعدة على حمل القبو الرئيسي للكنيسة، وقد تقام أعمدة أخرى للمساعدة على حمل السقف المقام بجانب القبو الأساسي المغطى لبناء الكنيسة، وإيضاً معاني الهيبة والوقار والجلال المتولد عن كثرة الأعمدة المقامة بداخل المبنى. (zanini,2009:289)
- وتتميز تيجان هذه الأعمدة ببعض الاختلافات عن الطرز المعمارية الإغريقية الرومانية في تصميم وريقات الأكتنيس حيث تتجه إلى قلة توريقات هذه الورقة وإتجاه

أطرافها نحو التدبيب الملحوظ مع التبسيط في المنحنيات وإتجاهها أكثر نحو التحوير الزخرفي والتجريد، ويلاحظ الأثر الفارسي والأرامي بوضوح في شكل الورقة الجديد، وكثيراً ما يتوسط هذه الأوراق في منتصف التاج دائرة بداخلها صليب. ( موقع ابوطير، ٢٠١٩:٣ )

- ومن السهل الإحساس بالأثر الشرقي في إتجاه هذه التيجان نحو التبسيط الزخرفي بدلاً من الإتجاه نحو الصدق في التمثيل الطبيعي الذي كان من سمات الطراز الإغريقي الروماني القديم.

### ثالثاً : أمثلة على العمارة في العصر البيزنطي في سوريا

لعل من أهم الأمثلة على العمارة البيزنطية كنيسة «أيا صوفية» في القسطنطينية التي تعتبر من أروع الأمثلة على الفن البيزنطي في عهد جستنيان، وتعد مفخرة العمارة البيزنطية، حيث إن لها أهمية خاصة في تاريخ العمارة بسبب الابتكارات التي ظهرت فيها. كما استوحيت العمارة في فلسطين من الطراز البيزنطي أيضاً، ومثالها كنيسة سان سيرج في غزة. أما في الغرب فالأمثلة كثيرة، فلقد بني في رافينا (إيطالية) الكثير من العمائر البيزنطية ذات الصفة الخاصة، ومثالها سان أبولينير الجديد التي ابتدأت في عهد تيودورا، وكنيسة سان أبولينير إن كلاس، ثم كنيسة سانت فيتالي ذات المخطط المركزي وهي تشبه كنيسة أنطاكية. وفي شمالي أفريقية عدد وفير من الكنائس البيزنطية المختلفة. وكانت عمارة شمالي سورية كما هي ممثلة في كنيسة اللوزة، عمارة حجرية فيها غزارة في الزخارف المنحوتة سواء في الداخل أم في الخارج، ومن الزخارف التي تميزها حلية زخرفية تأخذ شكل شريط متواصل ينساب فوق النوافذ. إن أفضل مثال معروف لاستيراد عمارة جستنيان إلى سورية نراه في مجمع قصر ابن وردان عند حافة الصحراء، ويتألف من قصر وثكنة للجند وكنيسة. ولم تكن العمارة السورية قليلة التأثير بعمارة القسطنطينية فحسب، بل كانت ذات تأثير امتد شمالاً حتى الأجزاء الشرقية من آسيا الصغرى وأرمينية، وجنوباً حتى شبه جزيرة سيناء. (دحوح، ٢٠١٩: ٣) .

### كنيسة المهد



في عهد الامبراطور قسطنطين عام ٣٢٤، بعد أن أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للدولة البيزنطية (الإمبراطورية الرومانية الشرقية) أمرت والدته القديسة «هيلينا» في عام ٣٣٥م بإنشاء أول كنيسة مسيحية في أراضي الدولة الرومانية وبالتحديد في منطقة الشرق الأوسط وهي كنيسة المهد. بنيت كنيسة المهد على النمط البازيليكي، واستخدمت في



بنائها الأحجار الضخمة في بناء جدران الكنيسة الخارجية؛ لذلك تبدو كأحد الحصون الحربية، خاصة وجود باب الكنيسة الذي أنشئ في العصر العثماني لمنع الجيوش المعادية من الدخول إلى الكنيسة، ويتميز الباب بصغر حجمه، ولكي يستطيع أي شخص الدخول منه لا بد أن ينحني. و تحتوي على أربعة صفوف من الأعمدة الضخمة المصنوعة من الحجر ذات طراز كورنثي، وتنتهي بتيجان من أوراق نبات الأكانتس بطابعها الإغريقي. تقسم صفوف الأعمدة الكنيسة إلى ثلاثة أروقة (بوائك) أوسعها الرواق الأوسط، وتتعامد هذه الأروقة على المذبح والمحراب المركزي للكنيسة، ويفتح هذا المحراب على فناء الدير الأرثوذكس، ويؤدي هذا الفناء إلى سلسلة من الكهوف التي أعدت للدفن. كما احتوت كنيسة المهد على العديد من الفنون، كفنّ الخشب والتصوير الجداري والفسيفساء والأيقونات والرخام، مثلها في ذلك مثل باقي الكنائس الأثرية التاريخية؛ فقد زينت أعمدتها بصور مائبة فرسكو تمثل صورا لبعض القديسين والحواريين، كما غطيت كافة الحوائط الداخلية للكنيسة بالفسيفساء الملونة جميعها تدل على مهارة الصانع ودقة الفنان، كما ذهبت أجزاء كثيرة من الأعمدة أثناء العصور الوسطى. أما أرضيات الكنيسة فقد صنعت من الرخام والموزاييك، وقد رممها اليونانيون في عام ١٨٤٢م. أما سقف كنيسة المهد فقد كان منذ إنشائها مصنوعا وحتى الغزو الصليبي من خشب الأرز، وسقفها الحالي يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، كما ازدانت الكنيسة ببعض الصور المائبة عن بعض الأساطير الفارسية الساسانية التي تأثرت بها الفنون البيزنطية المسيحية. (منتدى المهندس، ٢٠١٢: ٢).

## ٢- كنائس مادبا القديمة



بلغت مدينة مادبا، درجة عالية من الازدهار الاقتصادي والفني في عصر الامبراطور البيزنطي "يوستيناس"، (٥٦٥-٥٢٧) وزوجته "ثيودورا". حيث بنيت الكنائس التي تزينها الفسيفساء الجميلة. وتميز بناء الكنائس في مادبا بتزيينها بالفسيفساء والصور التي تحاكي تفاصيل الحياة اليومية، وكذلك الطيور والحيوانات التي كانت تعيش في تلك المنطقة الخصبة من ابرز هذه الكنائس، كنيسة "خريطة مادبا" والتي تسمى حاليا كنيسة الروم الارثوذكسي، تقع داخل سور المدينة بقرب البوابة الشمالية، وهناك كنيسة السيدة التي تقع الى الشمال من شارع الاعمدة، وهي كنيسة مكرسة للسيدة مريم، اما كنيسة "إيليا" النبي فتقع الى الجنوب من شارع الساحة وعلى بعد خمسة وعشرين متراً الى الجنوب من كنيسة السيدقوهي كنيسة مكرسة للنبي إيليا. والى الشرق من الكنيسة الثالثة

هناك كنيسة رابعة يبلغ طولها ٢٩ متراً وعرضها ١٦ متراً، ويوجد في صحنها صفتان من الأعمدة. وكل صف يحوي ست أعمدة. وتلي هذه الكنيسة كنيسة خامسة وهي إلى الشرق من الكنيسة الثالثة أيضاً، ولم يبق من هذه الكنيسة سوى أثر بسيط. وهناك أيضاً كنيسة سادسة وسابعة إلى الجنوب الشرقي من "الأكروبوليس" ولم يبق من هذه الكنيسة إلا قطعة من حائط المذبح. وكنيسة ثامنة إلى الجنوب من "الأكروبوليس" وهي أوسع كنيسة في مدينة مادبا حيث يبلغ طولها ٣٦ متراً وعرضها ٢١ متراً وتعتبر هذه الكنيسة كاتدرائية مادبا. أما الكنيسة التاسعة فتقع خارج حائط المدينة، ويبلغ طولها ثلاثين متراً، وإمامها ساحة لها نفس الطول. وكذلك كنيسة عاشر، تقع في الأكروبوليس. إن جميع هذه الكنائس قد شيدت في العصر البيزنطي وقد صورت هذه الكنائس بفسيفسائها الرائعة الحياة اليومية في العصر البيزنطي، والملابس، والحيوانات والطيور، مثل البط والطاووس والدجاج والغزال والثور والاسد والحمار وغير ذلك، وكذلك صورت الظروف البيئية والمواقع الجغرافية. (اروع ما انتجه العصر البيزنطي، جريدة الغد، ٢: ٢٠١١)

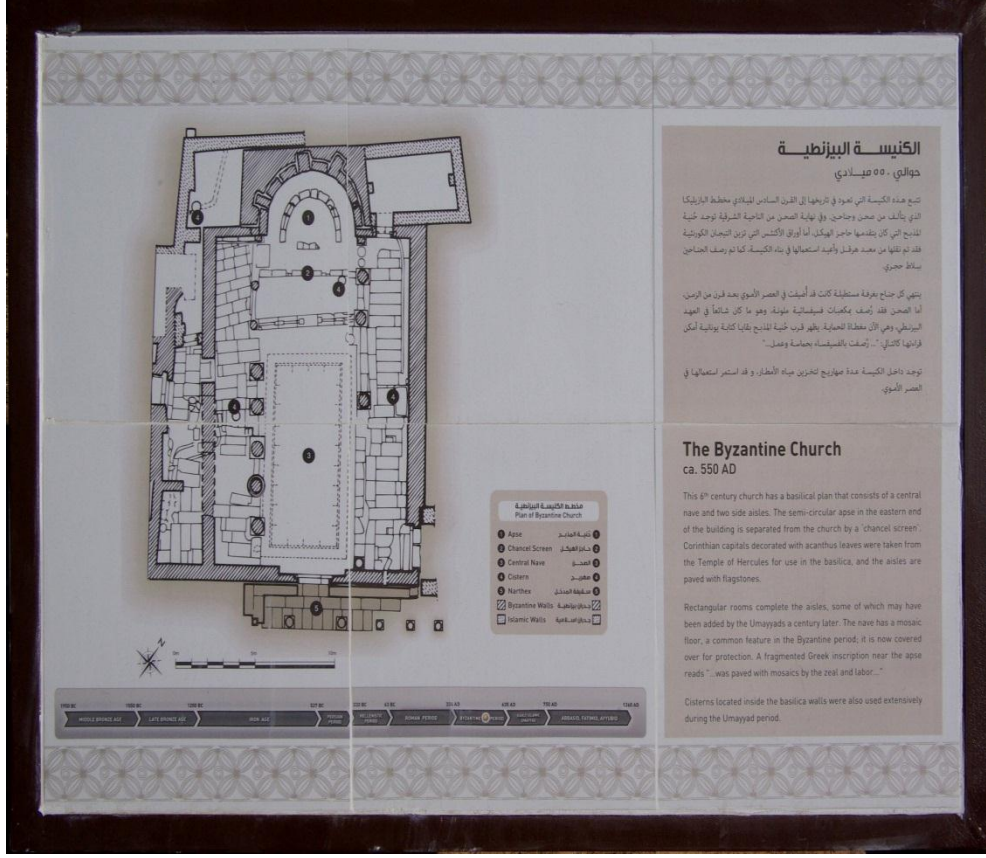
### كنيسة قلب لوزة :



تعتبر كنيسة قلب لوزة من أجمل الكنائس التاريخية في سورية، ويعتقد أن تاريخها يعود إلى منتصف القرن الخامس الميلادي وبداية القرن السادس الميلادي. تقع هذه الكنيسة التاريخية ضمن مدينة قلب لوزة الأثرية في جبل باريشا، شمال غرب إدلب، ويعتقد أنها قد شيدت في حياة القديس سمعان العمودي أو بعد وفاته بقليل. وتعتبر من أجمل الكنائس البيزنطية في سورية، وليس هناك كتابات تؤرخ الكنيسة ولكن من المعتقد بأن تاريخها يعود إلى منتصف القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي بينما يعود تاريخ بناء كنيسة قرفبيزة في نفس المنطقة إلى ٣٦١م كأول كنيسة بيزنطية بنيت في سورية. كنيسة قلب لوزة الشهيرة كانت مكاناً مخصصاً للعبادة تؤمه المنطقة بأكملها، ومركزاً للحج. ويؤكد على ذلك أهميتها ودقة زخارفها وبناء الفنادق لإيواء الحجاج .. وعند استيلاء الصليبيين على الكنيسة في القرن العاشر تحولت من كنيسة سريانية إلى كنيسة تقام فيها الطقوس البيزنطية، تأثر بناء كنيسة قلب لوزة بقمة فن العمارة السورية القديمة،

وسميت بقصر لوزة وأحياناً قلب لوزة. يبلغ طول بناء الكنيسة ٢٥ متراً وعرضها ١٥ متراً وهي ذات ثلاثة صحون، وهي تعد من أولى الكنائس التي نجد فيها الجناح الرئيسي محمولاً على دعائم متينة ضخمة ترتكز عليها الأقواس عوضاً عن الأعمدة. إن اتساع هذه الأقواس يؤمن دمج الجناحين الجانبيين بالجناح الرئيسي وبضفي الوحدة على حجم الكنيسة. وعلاوة على ذلك فالمحراب بارز ونضده الخارجي كثيف ومحمول على صف من الأعمدة فوق بعضها البعض، يتقدمه ممر عميق وعلى جانبيه تقع حجرتا المارتيريين والديكاكونيين، وتتألف الأروقة على الجانبين من زخارف جميلة، ويعلوها أعمدة وتيجان، ويحيط بها سور من الحجر الكلسي الكبير. وللكنيسة أربعة أبواب، ثلاثة في الجنوب وواحد في الغرب، يتقدمه مدخل مسقوف ذي رواق يتسم بالفخامة ويحده من الجانبين برجان، كل منهما بطوابق ثلاثة، وفيهما درجان قد زال حالياً وكانا يؤديان إلى سطح الرواق وسطحي الجناحين العلويين، وفي ذلك دلالة على العدد الكبير من المصلين. ويلاحظ أن الجناح الرئيسي مازال يحمل آثار عنصر معماري خاص بعدد كبير من الكنائس السورية في ذلك العهد وهو (البیما). من أهم أقسامها: الرواق أو الدهليز: وهو الممر المسقوف أمام الكنيسة. الصحن: وهو المكان المخصص لاجتماع الناس في الكنيسة، ويمتد من الباب حتى قدس الأقداس. بيت القدس أو الهيكل: وهو في وسط الكنيسة، وفيه يقام المذبح. غرفة الشهداء: وهي الغرفة الجنوبية من البناء. غرفة الشماسة: أو غرفة الخدم المحاذية للمذبح من جهة الشمال. ويضم بناء الكنيسة العديد من الشبايبك (النوافذ) والأبواب من جميع الجهات، وأجملها الواجهة الجنوبية التي تضم تسع نوافذ وثلاثة أبواب يتوسطها باب غني بالزخارف وقد نقر فوقه اسم الملاكين ميخائيل وجبرائيل، ويحيط بالباب رسوم مختلفة من أوراق نباتية تتخللها صلبان ونجوم وشريط من الدانتيل وأثلام وخطوط هندسية وسلسلة من الزرد ورسوم هندسية تتبعها سبحة من الحبوب والبكر والبراويز. تتضمن بنية الكنيسة عناصر جديدة فالأقواس الكبيرة القائمة على الدعائم التي نوهنا عنها تؤمن الالتحام الوثيق مع الأقسام العلوية في الكنيسة والتي يقع ثقلها على دعائم متينة، وأصبح وزن السقف ينتقل إلى الأقواس بطريقة الكتيفات المحمولة على أعمدة صغيرة متوضعة على كتيفات أخرى مما يؤمن مقاومة للهزات الأرضية المتواترة. والإضاءة أيضاً من إحدى مميزاتها ففي كل جدار من جداري الجناحين الجانبيين تسع نوافذ. وفي الجناح الرئيسي جداران بينهما فرق منسوب وفي كل منهما إحدى عشرة نافذة، فالكنيسة ليست غارقة في النور المتدفق من كل هذه الفتحات بل يتوزع النور فوق ذلك باتساق بفضل اتساع الأقواس. وكانت الواجهات موضع عناية خاصة فثمة نعل ذي حلية موجود حول الكنيسة كلها. ولأول مرة نرى النوافذ السفلى وأقواس الأبواب يلفها شريط ذي حلية ناعمة في كل الكنيسة ما عدا الصدر. ثم أن الطنف في الجناحين الجانبيين يلتقي في الواجهة الغربية مشكلاً انقطاعاً أنيقاً يبرز وجود شرفة فوق المدخل، والتوزيع الموفق لنوافذ البرجين ذوات الأطر يلفان كتلة الواجهة، وفي طابق الجناحين العلويين نجد أطر النوافذ تلتف بشكل قوس ذي حلية على السواكف المستقيمة. أما المحراب البارز فإن كتلته مخففة بصف من الأعمدة وبنوافذه الكبيرة المحاطة أيضاً بالأطر ذات الحلبي المستمرة. (كواكبي، ١٩٨١: ٢)

## الكنيسة البيزنطية في جبل القلعة :



## مخطط بازيليكيا الكنيسة

إحدى الكنائس الأثرية البيزنطية في العاصمة الأردنية عمّان. تقع داخل أسوار قلعة المدينة، التي تحوي أيضًا آثارًا من حضارات أخرى تعاقبت على المدينة منذ آلاف السنين. تم تشييدها في القرن السادس للميلاد، وتحديداً في عام ٥٥٠ م في منطقة مجاورة لمعبد هرقل. تتبع هذه الكنيسة التي تعود في تاريخها إلى القرن السادس الميلادي مخطط البازيليكيا الذي يتألف من صحن وجناحين. وفي نهاية الصحن من الناحية الشرقية توجد حنية المذبح التي كان يتقدمها حاجز الهيكل، أما رواق الأكنس التي تزين التيجان الكورنثية فقد تم نقلها من معبد هرقل وأعيد استعمالها في بناء الكنيسة، كما تم رصف الجناحين ببلاط حجري. (القطامين، ٤٥: ٢٠١١)

ينتهي كل جناح بغرفة مستطيلة قد أضيفت في العصر الأموي بعد قرن من الزمن، أما الصحن فقد رُصف بمكعبات فسيفسائية ملونة، وهو ما كان شائعاً في العهد البيزنطي، وهي الآن مغطاة للحماية. يظهر قرب حنية المذبح بقايا كتابة إغريقية أمكن قرأتها كالتالي: "... رُصفت بالفسيفساء بحماسة وعمل...". توجد داخل الكنيسة عدة صهاريج لتخزين مياه الأمطار، وقد استمر استعمالها في العصر الأموي (العيصوي، ٢٠١٢: ٥٦). يُشار بالذكر إلى أن وزارة السياحة والآثار الأردنية قد قامت بإعادة ترميم المبنى في بداية التسعينات من القرن الماضي ليكون بالشكل الحالي.

الواجهه الجانبية للكنيسة



الكنيسة وخلفها معبد هرقل الروماني

خربة الرشادية : كنيسة بيزنطية تم اكتشافها في الجنوب

اكتشف فريق أثري من جامعة مؤتة الأردنية مؤخرا كنيسة أثرية من العصر البيزنطي تغطي أرضيتها لوحات من الفسيفساء الملون في جنوب الأردن. حيث بين رئيس قسم الآثار بالجامعة حمد القطامين إن الكنيسة المكتشفة "تقع بين حدود مملكتي إيديم والمؤابية القديمتين في منطقة ذات الرأس في جنوب الأردن، وهو ما يدل على أن الوجود البيزنطي لم يقتصر فقط على شمال الأردن بالقرب من سوريا كما هو معروف." وأضاف أنه تم العثور على الجدران الرئيسية والأعمدة التي تفصل بين صحن الكنيسة الثلاثة بالإضافة إلى لوحات من الفسيفساء الملون تغطي الأرضية. وأشار إلى أن هذه اللوحات "في حال جيدة جدا وهي ذات أشكال هندسية مربعة أو مستطيلة أو دائرية، وهو ما يعد أمرا فريدا." وذكر القطامين أن غالبية لوحات الفسيفساء الموجودة في الكنائس الأثرية الأردنية خاصة في منطقة مادبا، تحمل عادة رسومات لنباتات وحيوانات. وأعرب عن اعتقاده بأن الكنيسة التي لم يستكمل اكتشافها بعد، ترجع إلى الفترة بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين وشيدت في منطقة استوطنها الأنباط العرب الذين استقروا في الأردن قبل الميلاد. (القناة الفرنسية، ٢٠٠٢).

الى الجنوب من مدينة الطفيلة وعلى بعد ٢٢ كم في منطقة التجمع الأثري المنوع قريبا من عاصمة الأدوميين بصرى " بصيرا" على الطريق الملوكي، تتربع كنيسة الرشادية ذات الأرضيات الفسيفسائية التي تشهد على حقبة من الزمن، وتؤرخ لحضارة البيزنطيين التي سادت في المنطقة . كانت الكنيسة ضمن تجمع كنسي شمل أيضا خربة النصرانية التي تبعد عن هذه الكنيسة حوالي ٤ كيلومترات الى الجنوب الغربي الذي دمرته إضافة الى هذا الموقع الزلازل، ولم يبق من المكينين إلا البوابات وبعض معاصر العنب. وقد تم الكشف عن آثار هذه الكنيسة في العام ٢٠٠٢ من قبل دائرة الآثار العامة لتقوم بعدها بالتنقيب الأثري عن المكان لأهميته وقد قامت الدائرة بترميم أجزاء كبيرة من الكنيسة وما يزال التنقيب عن بقية المناطق المجاورة للكنيسة قائما حتى الآن. وتأتي أهمية خربة الرشادية لما تحتويه من فترات تاريخية مختلفة، ودل على ذلك الشواهد الاستيطانية عدا عن البقايا المعمارية المختلفة بدءا بالفترة الأدومية وحتى البيزنطية والتي تمثل بيوت سكنية وكنائس مختلفة ومعاصر للعنب وبقايا أعمدة متناثرة على الشارع العام المحاذي

للموقع باتجاه البتراء النبطية رغم أن بعض الأعمدة جرى إزاحتها من أماكنها الأصلية ما ألحق تدميرا واضحا ببعض أجزاء الكنيسة. (القطامين، ٢٠١١: ٨٧)

ويعود الفضل الأول للعالم نلسون جلوك الذي أشار إلى هذا الموقع في العام ١٩٣٤ عندما قام بإجراء مسوحات أثرية في الأردن حيث أكد وجود آثار استيطان في الموقع امتد تاريخيا من الفترة الأدومية وحتى فترة البيزنطيين المتأخرة وهذا ما أكدته نقش عثر عليه داخل أرضيات الكنيسة ويعود تاريخها إلى ٥١٢-٥١٣ ميلادية إلى جانب المسوحات التي قام بها العالم الكندي بيرتون ماك دونالد في الفترة بين ١٩٧٩-١٩٨١ ومسوحات قام بها المعهد البريطاني للآثار في العام ١٩٩٦ بالتعاون مع دائرة الآثار العامة، ومن خلال ذلك وضعت المخططات الأولية للموقع وجمعت بعض العينات التي أكدت أن الاستيطان بدأ في الموقع منذ الفترة الأدومية واستمر إلى الفترة البيزنطية. (العيسوي، ٢٠١٣: ٩٨)

وبعد أعمال التنقيب تم العثور على الكنيسة التي بلغت مساحتها (٢٥م في ١٥.٥م) وعثر على المشغولات الفسيفسائية التي تزينت بها أرضية الكنيسة على شكلين الأول أرضية فسيفسائية مرصوفة بالقطع كبيرة الحجم، والأخرى قطع فسيفساء صغيرة الحجم وجاء المخطط المعماري للكنيسة على نظام (البازيليكا) حيث تتكون من قاعة تنقسم إلى أجزاء ثلاثة وهي الرواق الأوسط (nave) ويتقدم المبنى في جهته الشرقية (حنية) الكنيسة وتبلغ أبعادها حوالي ٢٥ مترا شرق - غرب وعرضها ١٥.٥ شمال جنوب، ثم أخيرا الرواق الشمالي والرواق الجنوبي وتوزع في أطراف الأروقة قواعد حجرية مثبتة كانت تقوم عليها حجارة بناء أو أعمدة ترفع أقواسا متناظرة ترفع بدورها سقف الكنيسة. توجد بوابات في الجهة الشمالية وترتبط بالكنيسة بدرج نازل يبدأ من مستوى الأرضية الفسيفسائية وعثر في المكان على مجموعة من الحجارة المشذبة وبعض الأدوات الفخارية وقناديل الأضواء الفخارية، ويضم صحن الكنيسة وهو استمرار لبناء الكنيسة، وتوجد حجرة ذات شكل نصف دائري عليها رسوم لرأس رجل ورأس امرأة ذات أجنحة إلى جانب الرسوم التي تمثل النباتات في المنطقة، ويقع ذلك على تاجية حجرية ارتفاعها ٤٠ سم ونصف قطرها ٦٥ سم نقش عليها صليب إضافة إلى رسم هندسي على شكل نجمة ثمانية يتوسطها صليب وفيها رسوم نباتية وهندسية تشبه قرص الشمس. أما بالنسبة للأعمدة على الأرضية الفسيفسائية فتوجد أربع قواعد مربعة تحمل الأعمدة بقياس ١٤٠ سم في ٧٠ سم ونصف، وقطر العمود ٨٠ سم وارتفاعه ٧٥ سم، وتتشكل الأرضية الفسيفسائية من قطع على أشكال هندسية كالمثلثات والأشكال السداسية وغيرها، أما في الجهة الغربية للكنيسة فتظهر أرضية فسيفسائية مهمة احتوت على كتابة يونانية تتكون من ثلاثة عشر سطرا داخل شكل ثماني أحيط به زخارف هندسية ومربعات وطول ضلعه ٥٥ سم، وجاءت الترجمة على النحو التالي (القطامين، ٢٠١١: ١٠٢):

“في هذا المكان وحسب رغبة الأم العذراء أم المسيح الكلمة غير المنظور وبتدبير الإيمان بالله تم إنجاز الفسيفساء عام ٤٠٧ (٥١٢-٥١٣) ميلادي من أجل خلاص مغالبيستي المحبة لله واستكمل العمل على يد أندرياس بن اليوتوس.”

وبالنسبة لحنية الكنيسة فهي ذات شكل نصف دائري بلغت قياساتها ٥٢٠ سم عرضا وبطول وبقطر ٣م ويتوسطها ثلاث درجات قياساتها ٥٠ في ٤٥ سم وعثر على ثلاثة أعمدة رخامية تراوحت أقطارها بين ٣٠ - ٣٥ سم وبأطوال متفاوتة إضافة إلى الغرف المتعددة التي استخدمت كمساكن للرهبان والتي رصفت أرضياتها بحجارة مربعة

مصقولة والجدران السميكة التي تحيط بالكنيسة وتؤلف جدارها الخارجي والتي يصل سمك البعض منها المتر. والجدران عبارة عن مدمكين وضعت بينهما الملاط والحجارة الصغيرة لتزيدها قوة ومقاومة للظروف الخارجية. وتراوحت ألوان الفسيفساء المستخدمة في رصف أرضية الكنيسة بين الأحمر الغامق والبني والأصفر والأخضر، واستخدم الملاط لتثبيتها في مكانها، واشتملت أشكالاً هندسية رائعة وبالغة في الدقة ومتنوعة من حيث الصور التي جاءت على أشكال أوراق الأشجار والأشكال الهندسية وصور لبعض أنواع الورود البرية صغيرة الأوراق لتشكل نسيجاً زخرفياً فسيفسائياً جميلاً، ولكن بعض أجزاء هذه السجادة الفسيفسائية مشوه بفعل عوامل الزمن والظمر تحت التربة لفترات طويلة وتعكف دائرة الآثار حالياً على إعادة ترميم الأرضيات الفسيفسائية والتي تغطيها بصفائح من البلاستيك وتعلوها طبقة رملية للحفاظ على تلك الآثار الهامة التي شكلت دليلاً على حقبة تاريخية دينية هامة في المنطقة، كونها تمثل تجمعاً لكنائس عديدة.(غانم، ٢٠١١)

ويتوقع الباحثون في علم الآثار أن يكتشفوا كنائس أخرى في المنطقة حيث لم تصل التنقيبات لغاية الآن لخربة اصطلاح على تسميتها شعبياً باسم "خربة النصرانية"، وتقع بالقرب من خربة الرشادية أو كنيسة الفسيفساء حيث يعلو صليب بشكل واضح على حنية كنيسة خربة النصرانية ويبدو أن المكان تعرض للدمار نتيجة الزلازل ما أدى إلى تناثر أجزاء الكنيسة وأعمدتها.(العيسوي، ٢٠١١: ٤١)





## كنيسة القديسين دميان وقزمان والتي بنيت عام ٥٣٣ ميلادي تخليداً لذكرى هذين التوأمين:



### إطلالة على كنيسة القديسين

بنيت الكنيسة في القرن الرابع للميلاد وبعد ذلك بفترة وجيزة تتابع بناء العديد من الكنائس وبوتيرة سريعة، خصوصاً في فترة حكم جستين الأول، وزوجته ثيودورا وذلك بين العامين ٥٢٧-٥٦٥ ميلادي. وبحلول منتصف القرن الخامس صارت جرش موطناً لست عشرة كنيسة. وكانت أكثر الكنائس حفظاً هي كنيسة القديسين دميان وقزمان والتي بنيت عام ٥٣٣ ميلادي تخليداً لذكرى هذين التوأمين. بنيت الكنيسة على ترس (مصطبة) فوق شمال غرب المدرج. ولقد تم التنقيب عليها من قبل فريق علماء آثار أمريكي تحت إشراف الباحث الاسترالي فنسنت كلارك. لقد اكتشف الفريق أن هذه الكنيسة قد استعملت لقرابة ٢٠٠ عام قبل هجرانها ونسيانها في منتصف القرن الثامن ميلادي. ووجد العلماء بلاط السقف بحالة جيدة إضافة للأحواض والأوعية الجصية. مما يعطي إشارة لمرور الكنيسة بعدة تجديدات عديدة قبل هجرانها في القرن الثامن ميلادي. ويرجح أن السبب في ذلك هو الزلزال الذي حدث في ٧٤٧ ميلادي. (غانم، ٢٠١١: ٥٢)

تتبع الكنيسة طراز الكنائس المستطيلة (الباسليقا) الأشهر في العصر البيزنطي بالقناطر الثلاثية. لقد بنيت كنيسة القديسين قزمان ودميان كجزء من مجمع كنسي وهو وحدة واحد تشترك بمدخل واحد غير مسقوف. لقد بنيت الثلاث كنائس بين ٢٢٥ و ٥٣٣ ميلادي. وكنيسة القديسين هي الأكبر ولها جدار مشترك مع كنيسة المعمدان. تحوي الكنيسة على أكثر اللوحات الفسيفسائية تعقيداً وسلامة في المنطقة. وتعد هذه الفسيفساء مثلاً على "المنظور التريبيعي" والذي يتكون من مربعات ومعينات بدرجات من الزرق والبرتقالي والأحمر والأرجواني والأبيض والشحم الأسود. تصور الفسيفساء أيضاً صفوفاً من الطيور المحلية والحيوانات. وتتضمن الطاوويس وطيور الذيال (التدرج) والأغنام والماعز والأسد والغزلان والزرافات والفيلة. وتثير صور الفيلة الانتباه حيث نادراً ما تصور الفسيفساء الأخرى في المنطقة هذا الحيوان. تصور اللوحة الفسيفسائية أيضاً بعض النباتات الطبية لغايات مدح القديسين الذين تم تصويرهما كقديسين راعيين للصحة والطبابة والصيدلة. (القطامين، ٢٠١١: ٩٨)



## صورة للكنيسة و تظهر فيها الارضية الفسيفسائية

كان الأخوان قديسين راعيين للطبابة والصيدلة. وهذا لأنهما غالبا ما كانا يعالجان المرضى دون مقابل. إضافة لممارستهما للطب فقد أمسيا من الشهداء في عصر دقلديانوس. ولسبب غير واضح، فقد عذب الأخوان حتى الموت وأجبرا على إعلان كفرهما بالمسيحية. ولكن قزمان ودميان لم يتلفزا بمثل تلك الكلمات وبقي قلبهما وإيمانهما مخلصان. وبسبب أعمالهما الخيرية وتقواهما فقد اعتبرهما أغلب الناس رعاة وشهداء بعد أعوام من موتهما، رسمهما القساوسة البيزنطيون في كل عمل فني كاللوحات والزجاج ولخزف والمنسوجات. وغالبا ما يتم تصويرهما وهما يحملان قوارير الدواء أو عدة الجراحة وسجلات وصف الدواء وبعض النباتات الطبية. إضافة للأدوات الطبية فقد تم تمثيل الأخوين والهالات المضيئة فوق رأسيهما ومرتديان الزي العربي أو المسيحي، أو زي المعلمين والجراحين أو حتى زي رجال الدين. في روما، قام البابا فيليكس بتخصيص ضريح في الميدان الروماني وذلك لتخليد ذكراهم عام ٥٣٣ ميلادي. (ديوب: ٢٠٠٢: ٥٨)



أيقونة فيسفسائية للقديسين

لقد ظلت ذكراهما تتردد لمدة طويلة وقد بنيت العديد من دور العبادة للاحتفال بذكراهما خلال العصور البيزنطية الوسطى في الأردن. ولكن الكنيسة في جرش هي أقدم كنيسة بنيت لذكراهما وظلت قائمة حتى يومنا هذا. إن بقايا الجدران والأسس والفسيفساء وبقايا الهياكل العامة هي الوحيدة التي ظلت لتمجد ذكرى القديسين قزمان ودميان، كما بقيت لتعزز أمجاد مواقعنا التاريخية. (خميس، ٢٠٠٣: ١٥)

### الخاتمة:

أصبح الفن البيزنطي في حاجة إلى خلق طراز فني جديد حتى يخدم هذه الوظائف والأغراض وبالفعل فقد ظهرت أنماط وأساليب جديدة في أسلوبها ومميزاتها وخاماتها وطريقة إخراجها عما كان سائداً من قبل في الحضارات الرومانية السابقة فقد عدل وأضاف وابتكر.

تعتبر العمارة البيزنطية أول المجالات الفنية التي حقق فيها الفن البيزنطي إضافات ناجحة من أهمها: (موازنة القبة فوق المربع) حيث كانت الحاجة إنشاء قبة نصف كروية فوق بهو أرضية مربعة المساحة حيث تتكون منها جزء هام من عمارة الكنيسة، وكان لإنشاء مثل هذه القبة المطلوبة طريقتان: (أبو طير)

- استخدام الأكتاف الكروية ( PENTIVES ) وهي مثلثات ترتفع من أركان المربع وتتحني للداخل لكي تجتمع في دائرة.

- الأركان المحرابية ( SQUENCHES ) وهي قبوات حنوية، أي مجموعة من القبوات تتكون الواحدة منها حنية يعلوها قبو عبر أركان المربع إما في صورة رقبة مربعة أو على نفس مستوى العقود (البواقي) الرئيسية المتحملة.

وقد كان هذا الأسلوب في العمارة البيزنطية مطلوباً في حالات كثيرة حتى يمكن إضافة إمتدادات معمارية للأرضية المربعة الأضلاع حتى يمكن إنشاء كنيسة أرضيتها صليبية الشكل لها قبة نصف كروية أساسية يحوطها قبوات أصغر، أو أن يحيط هذه القبة الكبيرة أنصاف أفبية من أربعة نواحي لتصميم وتكوين قبو كبيرة على شكل الصليب.

ومن الطبيعي أن لا ننسى كلا من (البازيلكا) (وهي طراز معماري معناه في الأصل القصر الملكي وهي عبارة عن قاعة متسعة مستطيلة ذات مجموعتين من الأعمدة ولها قبة نصف كروية وكانت تستخدم دوراً للقضاء أو التجارة). و(الروطن) (وهو قاعة مستديرة تعلوها قبة نصف كروية مثل قبة معبد البنثيون في روما)، ولكنهما لم يكونا في الصورة التي تتطلبها القاعة المربعة المطلوبة لتكون بداية لتصميم أرضية الكنيسة.

**النتائج :**

- توصلت الدراسة الى عدة نتائج من اهمها :
- ١- ان الحضارة البيزنطية من الحضارات التي ادت دورا مهما في بلاد الشام والتي لا تزال الشواهد التاريخية تعرفنا بهذا الدور، و ان العمارة البيزنطية احدى الفواصل التاريخية الهامة في مسيرة الحضارة المعمارية العالمية وقد اقترنت بولادة المسيحية في اوروبا .
  - ٢- ان العمارة الكنسية في سوريا تميزت بمواصفات مختلفة تجمع بين الكلاسيكية والمحلية و تولد عنها فنا معماريا بمستوى عالمي كان و لا زال ميدان الابحث في دراسة فن العمارة في العصر البيزنطي
  - ٣- ان العوامل المؤثرة في تكوين العمارة في العصر البيزنطي : العوامل الجغرافية، العوامل المناخية، العوامل الجيولوجية، العوامل الدينية واخيرا العوامل الاجتماعية والتاريخية .
  - ٤- ان من اهم معالم العمارة في العصر البيزنطي : الفتحات حيث استخدام البواكي ذات العقود النصف الدائرية للكنائس، والنوافذ الصغيرة التي تتناسب مع حالة الجو المشمس، الزخارف حيث كانت الحوائط جميعها مغطاة بفسيفساء من قطع الرخام الملون و القباب جميعها مغطاة بالموزاييك، واخيرا الاعمدة حيث كان كل عمود يتكون بالغالب من قطعة واحدة من الرخام المختلف في الالوان، و تيجان هذه الاعمدة كانت من الرخام الابيض وكانت غنية بالحليات المنحوتة .
  - ٥- تعد كل من ( كنيسة المهد )، (كنيسة قلب لوزة) و ( كنائس مادبا ) من اروع الامثلة على الفن البيزنطي و مفخرة العمارة البيزنطية، كما ان لها اهمية خاصة في تاريخ العمارة للابتكارات التي ظهرت في كل منها .

**التوصيات :**

- على ضوء اجراء هذه الدراسة توصي الباحثة بما يلي :
- ضرورة القيام بابحاث تتعلق بفن العمارة خلال العصر البيزنطي و ذلك لقلّة الابحاث المتاحة في هذا الموضوع
  - تشجيع الباحثين على القيام بالبحوث العلمية والميدانية فيما يتعلق بفن العمارة في العصر البيزنطي، و تقديم كافة التسهيلات المطلوبة لهم .
  - التركيز على فن العمارة في العصر البيزنطي من خلال اضافة بعض الامثلة على المناهج المدرسية فيما يتعلق بفن العمارة في بلاد الشام خلال العصر البيزنطي .

**Abstract****Architecture in the Byzantine era in Syria****By Zain Moussa Ghoneim**

This study aims to: provide an integrated picture of the distinctive features and features in Byzantine architecture in Syria , and also aims to clarify the factors affecting the formation of Byzantine architecture and to present examples of Byzantine architecture in Syria with a detailed explanation of the construction methods used in its construction .

This study uses the method of analyzing and documenting some historical and archaeological studies of the Byzantine era, especially those related to Syria. The study also analyzed the information received through historical references and archaeological research.

The study reached several results, the most important of which are: Byzantine architecture represents one of the important historical stages in the development of Syrian architectural civilization, and many factors helped it in that, the most important of which is its geographical location.

The study recommended several recommendations, the most prominent of which are: The necessity of working to expand the research that deals with architecture in Byzantine eras and providing appropriate facilities for researchers to do these researches due to the lack of Arab studies that dealt with this topic in a detailed and accurate way.

**Key words:** Syria, the Byzantine era, architecture, historical studies.

**المراجع :****المراجع العربية :**

- ابراهيم، خميس (٢٠٠٣). معالم التاريخ البيزنطي السياسي و الحضاري، الاسكندرية : مصر  
جديع، كلوديا (٢٠١٨). بلاد الشام في العصر البيزنطي (القرن الرابع الى منتصف القرن السابع الميلادي  
(رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة اليرموك : الاردن .  
الجعباني، اسيل (٢٠٢٠). معالم مميزة في العمارة البيزنطية، مقالة منشورة في الموسوعة العربية،  
المجلد السادس .  
دحدوح، فائق (٢٠١٩). الفن البيزنطي، مقالة منشورة في الموسوعة العربية، المجلد الخامس .  
ديوب، طالب (٢٠٠٢). تاريخ العمارة في العصور الوسطى، جامعة البعث : سوريا .  
سارتر، موريس (٢٠٠٥). سوريا في العصور الكلاسيكية، ترجمة محمد دنيا، منشورات وزارة الثقافة :  
دمشق.  
عمران، محمود (٢٠١٧). معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، مكتبة نور : سوريا  
العيسوي، اسامة (٢٠١٢)، تاريخ العمارة البيزنطية، مكتبة النور : غزة .  
غانم، سليمان (٢٠٢٠). سوريا في العصر البيزنطي بين القرن الرابع الميلادي والقرن السابع الميلادي  
(تطور الدراسات البيزنطية تاريخيا واثريا). مجلة جامعة تشرين المجلد (٤٢) العدد (١)، اللاذقية :  
سوريا.  
فرح، نعيم (١٩٩٩). تاريخ بيزنطة السياسي، ط٢، منشورات جامعة دمشق : سوريا .  
قاقيش، رنده (٢٠٠٧). عمارة الكنائس و ملحقاتها في الاردن، رسالة دكتوراة غير منشورة: جامعة مؤتة.  
القطامين، فيصل (٢٠١١). خربة الرشادية: كنائس بيزنطية بأرضيات من الفسيفساء، جريدة الغد .  
كواكبي، نزيه (١٩٨١). عمارة فجر المسيحية والبيزنطية، مطبوعات جامعة دمشق .  
العمارة البيزنطية (٢٠١٢)، مقالة منشورة في منتدى المهندس  
المصري، نيرمين (٢٠١٨). تطور فن الفسيفساء في العصر البيزنطي، رسالة ماجستير غير منشورة :  
جامعة دمشق .

فن الحضارة البيزنطية (٢٠١٩). مقالة منشورة في موقع الكتروني :ابو طير،  
<https://abutair.net/ar/art-byzantine-civilization/#hdr5>

المراجع الاجنبية :

- Abua,albeer(1999).history of the eastern syriac church, dar al-mashreq : Beirut
- Harak,A(1992).” The ancient name of Edessa “, journal of near Eastern studies , n:51
- Ostrogrksky, G(1993). Storia dell ‘ ipmro bizantino . Einaudi, Torino .
- Tate, G(1989). Les camapagnes de la Syria du nord a l’epoque protobyzantine , in Hommes et richesses .
- Zanini , E(2009) . Introduzione . all ‘ Archeologia Bizantina , carroci.